اللغة في ظلّ اللّسانيات المعرفية: بين المَبادئ والتّطبيقات

Language in the Light of Cognitive Linguistics: Between Principles and Applications

رزقي عبد القادر[1]*

[1] جامعة مولود معمري – تيزي وزو، الجزائر

rezkiabdelkader88@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/12/25 تاريخ القبول: 2026/02/18

****

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف ملامح اللسانيات المعرفية من خلال تحليل المفاهيم الأساسية التي تشكل هذا المجال، ودراسة دورها في فهم العلاقة المتشابكة بين اللغة والتفكير، ويسلط الضوء على كيفية تأثير هذه المفاهيم في تنظيم المعرفة الإنسانية وكيفية تشكيل المعاني ضمن سياقات ثقافية ومعرفية متنوعة، فضلاً عن التحدّيات التي تطرأ عند ترجمة هذه المصطلحات.

لبلوغ الهدف، تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي الذي يستند إلى دراسة الأدبيات المتوفرة في اللسانيات المعرفية، وتحليلها ونقدها، وقد أظهرت النتائج أنّ اللسانيات المعرفية تقدّم فهماً معمقًا للغة بوصفها أداة معرفية متكاملة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعمليات العقلية مثل الإدراك والتفكير، كما تمّ التأكيد على أهمية فهم الأنماط الذهنية وكيفية تأثيرها في إنتاج اللغة وفهم المعاني، فضلاً عن التحديات التي تطرحها الترجمة الدقيقة للمصطلحات في سياقات ثقافية متنوعة.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعرفية؛ اللغة؛ التفكير؛ الإدراك؛ المعاني؛ السياق.

Abstract:

This research aims to explore the contours of Cognitive Linguistics through an analysis of the foundational concepts that constitute this field, examining its role in understanding the intricate interplay between language and thought, while it sheds light on how these concepts influence the organization of human knowledge and the construction of meaning within diverse cultural and cognitive contexts, alongside the inherent challenges that arise in the translation of these specialized terms To achieve this aim, the study adopts a descriptive methodology based on the examination, analysis, and critique of the available literature in Cognitive Linguistics, and the results demonstrate that this discipline offers a profound understanding of.

language as an integrated cognitive tool that is intimately linked to mental processes such as perception and reasoning, where the findings underscore the critical importance of comprehending mental schemas and their influence on language

production and meaning comprehension, in addition to elucidating the difficulties posed by the accurate translation of its terminology across varied cultural frameworks.

Keywords: Cognitive Linguistics; Language; Thought; Perception; Meaning; Context.

مقدمة:

حظيت اللغة باهتمام واسع وعميق من الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، نظرًا لكونها الأداة الأكثر تعقيدًا ودلالة على التميز البشري، فهي السمة الفارقة التي تميز المجتمع البشري عن غيره من الكائنات، كما أنها تشكل الوسيلة الأساسية والأكثر فاعلية التي يُعبّر الإنسان عبرها عن مكنونات فكره، ويعبّر بها عن مشاعره وأحاسيسه، وينقل من خلالها تراكم خبراته ومعارفه وثقافته إلى الأجيال المتعاقبة عبر العصور والحضارات. وفي هذا الإطار المتشعب، تناولت الدراسات اللسانية اللغة من مداخل ومنظورات متعددة ومتنوعة، بدأت بالتركيز على الوصف التحليلي للبُنى اللغوية المجردة والنظم القاعدية لها، ثم توسعت لتمر بدراسة العلاقة التفاعلية بين اللغة والمجتمع والنسق الثقافي المحيط، وصولًا إلى الغوص في التفسيرات النفسية العميقة والفيزيولوجية المعقدة التي تحكم عمليات إنتاج اللغة وفك شفراتها وفهمها، ومع نهايات القرن العشرين، برزت اللسانيات المعرفية لتقدم منظورًا تحويليًا جديدًا ومختلفًا جذريًا، مركزًا على فهم اللغة بوصفها ظاهرة معرفية بالدرجة الأولى، تنبثق من صميم الإدراك البشري وتتشكل من خلال تجاربه الحياتية المتراكمة، فلم تعد اللغة في هذا المنظور مجرد نظام رمزي محايد أو وعاء سلبي لحمل الأفكار، بل أصبحت تُرى كعنصر فاعل وأساسي في عملية بناء المعرفة الإنسانية ذاتها وتنظيمها، وذلك لأنها – بحسب هذا المنهج – ليست انعكاسًا بسيطًا أو مرآةً للواقع الخارجي، بل هي نتيجة تفاعل معقد وخلاق بين عالم الفكر الداخلي، وتراكم التجربة الشخصية، والعالم المادي المحسوس، حيث تستند هذه الرؤية إلى فرضية جوهرية مؤداها أن اللغة متجذرة في الإدراك الجسدي الملموس والإدراك المعرفي المجرد معًا، وأنها تتشكل وتتطور بشكل حيوي من خلال تفاعل البشر اليومي مع عالمهم، ومن خلال الطرق الخاصة التي يفهمون بها هذا العالم، مما يجعل من دراسة اللغة مدخلًا استراتيجيًا لا غنى عنه لفهم الآليات العميقة للتفكير البشري وطبيعة الإدراك ذاته.

ورغم من هذه الرؤية الثرية والمؤثرة، فإن هذا المجال البحثي لا يخلو من عقبات وتحديات منهجية وعملية عديدة، ولعل التحدي المتعلق بالمصطلح يبقى من أبرزها، حيث **يشير الباحث العتيبي (2015) في دراسته النقدية إلى أن "غموض المصطلح المعرفي وعدم استقراره في الترجمة بين اللغات" يشكل عائقًا رئيسيًا أمام التوصل إلى تصور موحد ومشترك للمفاهيم الأساسية لهذا الحقل المعرفي (ص 100)، ويوضح أن هذه المشكلة لا تقف عند حد الصعوبة التقنية فحسب، بل إنها تؤدي إلى نتائج معرفية واضحة، أبرزها "تعدد الترجمات وتباين الفهوم لمدلول المصطلح الواحد"، وهو ما قد ينتج عنه في النهاية "تشويش في الإطار المفاهيمي للنظرية" برمتها، مما يؤثر سلبًا على دقة البحوث ووضوح الحوار الأكاديمي بين الباحثين عبر الثقافات واللغات المختلفة**، كما يضاف إلى هذا التحدي الدقيق المتعلق بالمصطلح والترجمة، جدل

نظري أوسع وأكثر عمقًا يدور حول مدى قدرة المنهج المعرفي على تقديم تفسيرات شاملة وكافية لجميع الظواهر اللغوية، وخصوصًا تلك الظواهر التي قد تبدو مجردة أو معقدة إلى درجة تجعلها بعيدة عن التأثير المباشر والصريح للتجربة الحسية الجسدية المباشرة.

الإشكالية:

من خلال ما سبق تتجلى معالم إشكالية دراستنا، وتتلخص في السؤال التالي: "ما علاقة اللغة باللسانيات المعرفية؟ وكيف تطورت هذه الأخيرة، وما هي التحديات التي واجهتها والانتقاد الموجه لها في ظل المفهوم والمصطلح؟"

أهداف البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يعالج موضوعًا يتقاطع مع مجالات عدة، مثل الفلسفة وعلم النفس والعلوم الاجتماعية، مما يبرز الحاجة إلى مقاربات متعددة التخصصات لفهم اللغة وإدراك أبعادها المختلفة، ونأمل من خلاله أن نساهم في إثراء النقاش العلمي حول اللسانيات المعرفية، ودورها في تفسير الظاهرة اللغوية بما يخدم تطور العلوم اللغوية والمعرفية في المستقبل. ويهدف أيضًا إلى تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين اللغة والإدراك من خلال زاوية اللسانيات المعرفية، مع التركيز على المفاهيم والمصطلحات التي تشكل الأساس النظري لهذا الاتجاه، وتتناول مفهوم اللغة من منظور معرفي، مُبيّنة كيفية مساهمة المفاهيم المفتاحية في تحليل بنية اللغة وفهم معناها، كما سيتم استعراض التطبيقات العملية لهذه الأدوات النظرية في تحليل النصوص وتعليم اللغة وترجمتها. وبالتالي، نسعى لتقديم رؤية شاملة، تجمع بين التحليل النظري والنقدي للمفاهيم والمصطلحات، والتطبيقات العملية التي تسهم في توضيح أهمية هذا المجال في الدراسات اللغوية المعاصرة.

المبحث الأول: اللسانيات المعرفية: النشأة والتطور

تُعد اللسانيات المعرفية من الاتجاهات الحديثة التي غيرت كيفية فهم اللغة البشرية بشكل جذري، فقد ظهرت في السبعينيات من القرن العشرين كرد فعل على بعض القصور الذي لاحظته المدارس اللسانية التقليدية، مثل اللسانيات البنيوية والتوليدية، التي كانت تركز بشكل رئيسي على بنية اللغة وقواعدها، بعيدًا عن سياق الإدراك والمعرفة البشرية **(Lakoff, 1987, p. 22)**، حيث أصبحت اللسانيات المعرفية تدمج بين اللغة والإدراك البشري، معتبرة إياها ظاهرة معرفية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقل والتجربة الإنسانية، وهو ما يؤكده المجذوب (2006) في تناوله للأصول الفلسفية والعلمية لهذا الحقل المعرفي الجديد، ويأتي طرحه متوافقا مع أورده **Langacker** في قوله قوله:

"Cognitive linguistics... views language as an integral part of cognition, a reflection of our mental capacities and embodied experience. It seeks to ground linguistic structure in more general cognitive processes and principles." (Langacker, 2008, p. 4)

لقد تأثر تطور اللسانيات المعرفية بعدد من المدارس الفكرية، مثل الفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب، حيث كانت هذه المجالات تقدم رؤى جديدة حول كيفية معالجة اللغة من منظور معرفي، فقد تبنى رواد هذا الاتجاه، مثل: جورج لاكوف **(George Lakoff)** ومارك جونسون **(Mark Johnson)**، مبادئ أساسية تعتبر اللغة جزءًا لا يتجزأ من العقل البشري، وهو ما عبّرا عنه وأكداه في كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها .**(Lakoff & Johnson, 1980, p. 35)** "ووفقًا لهما فإن الاستعارة ليست مجرد أسلوب لغوي بل هي جزء أساسي من كيفية تفكير البشر وفهمهم للعالم من حولهم، لأن الإنسان يستخدم الاستعارات لتكوين مفاهيم جديدة وفهم تجاربه اليومية، وبذلك تصبح الاستعارة أداة معرفية أكثر منها مجرد ظاهرة لغوية، وقد شكّل هذا الطرح قفزة نوعية في الدراسات اللسانية من خلال الربط بين اللغة والفكر والمعرفة.

توسعت اللسانيات المعرفية على مدار السنوات لتشمل عددًا من المفاهيم الأخرى التي تهدف إلى تفسير كيفية بناء اللغة من خلال الإدراك البشري، فبجانب الاستعارة، برز مفهوم المخططات الذهنية **(mental schemas)** التي تمثل الصور الذهنية التي يستند إليها الناس في الفهم، وهذه المخططات ليست ثابتة، بل تتغير بناءً على الخبرات والتجارب التي يمر بها الإنسان في حياته اليومية **(Fauconnier, 1994, p. 105)** ، حيث بيّن باحثون مثل تيرنر **(Turner)** أنه حتى في تعبيرات اللغة اليومية، يكون للإنسان قدرة على فهم معاني معقدة تعتمد على تصورات ذهنية تتشكل من تجربته الحسية**(Turner, 1991, p. 92)** ، إذن فاللسانيات المعرفية قد ظهرت كنتيجة حتمية لتدارك النقائص التي استنتجتها المدارس اللسانية التقليدية، لتغير بعد مجيئها كيفية فهم اللغة البشرية وزاوية النظر إليها كعلم، وتدفع الباحثين إلى تغيير تركيزهم من بنية اللغة وقواعدها إلى البحث في سياق الإدراك والمعرفة البشرية.

وبهذا الخصوص، لم تقتصر مساهمات اللسانيات المعرفية على المجال النظري فقط، بل شملت أيضًا تطبيقات عملية في العديد من المجالات، مثل علم النفس، وعلم الأعصاب، ودراسة الوعي، بل وحتى في التعليم والترجمة، فالتطورات في هذا المجال مكّنت الباحثين من تحليل كيفية تأثير اللغة على التفكير، وكيفية تشكيل اللغة للمفاهيم المعرفية بناءً على السياقات الثقافية والاجتماعية**(Lakoff, 1987, p. 25)**)، وعليه، يتضح أن اللسانيات المعرفية قد اقتحمت مجالًا جديدًا غير المجال التقليدي المتعارف عليه سابقًا، وحولت تركيزها إلى ميادين جديدة كان يُنظر إليها على أنها مستقلة عن اللغة وبعيدة عن مجال بحثها. ومع

ذلك، لا تخلو اللسانيات المعرفية من النقد والجدل، فقد تعرضت لانتقادات اللغويين الذين يعتقدون أن هذا الاتجاه يُبالغ في التأكيد على دور الإدراك الحسي في تشكيل اللغة، بينما يُغفل الأبعاد الأخرى مثل التأثيرات الاجتماعية والثقافية **(Chomsky, 2000, p. 88)**، رغم أن اللسانيات المعرفية تظل من أهم الاتجاهات التي ساهمت في إعادة تعريف مفهوم اللغة ودورها في الفكر البشري، وفتحت أبوابًا جديدة لفهم العلاقة بين الإدراك البشري واللغة.

استنادًا إلى ما سبق، نستنتج أن اللسانيات المعرفية نشأت كاستجابة للتوجهات التقليدية في دراسة اللغة، والتي كانت تركز بشكل أساسي على الهياكل النحوية والأنظمة اللغوية بمعزل عن الإدراك والمعرفة، حيث بدأت اللسانيات المعرفية في السبعينيات من القرن العشرين، متأثرة بنظريات الفلسفة العقلية وعلم النفس المعرفي، وسعت إلى فهم كيفية تفاعل اللغة مع العمليات العقلية مثل التفكير والتصور، لتتطور عبر الزمن وتتخطى حدود اللغة بوصفها أداة للتواصل، لتصل إلى فهم أعمق للعقل البشري، كما أثّرت هذه المقاربات على مجالات أخرى مثل علم النفس، والفلسفة، وعلم الأعصاب، وبالتالي أصبحت اللسانيات المعرفية مجالًا متعدد التخصصات يدرس اللغة في سياق معرفي يربط بين الوعي والتجربة الإنسانية.

المبحث الثاني: مبادئ منهجية اللسانيات المعرفية في دراسة اللغة

تُعد منهجية اللسانيات المعرفية في دراسة اللغة من الأساليب الحديثة التي طرحت مفهومًا جديدًا لفهم العلاقة بين اللغة والعقل البشري، متجاوزةً التركيز التقليدي على القواعد الصرفية والنحوية لتتوجه نحو دراسة استخدام اللغة كأداة معرفية تنشأ من تجارب الإنسان الحسية والعاطفية وتفاعلاته مع بيئته، ومستندةً إلى مجموعة من المبادئ الأساسية التي تهدف إلى تفسير كيفية تفاعل اللغة مع الإدراك، وكيف تُشكّل اللغة طريقة التفكير والوعي لدى الأفراد.

المطلب الأول: اللغة كظاهرة معرفية مرتبطة بالإدراك

إن أحد المبادئ الأساسية في منهجية اللسانيات المعرفية هو كون اللغة ليست مجرد نظام من الرموز المجردة فقط، بل هي جزء لا يتجزأ من العمليات المعرفية والإدراكية، حيث يبرز هذا التوجه في أعمال جورج لاكوف، الذي أكّد في كتابه **Women, Fire, and Dangerous Things** أن تصنيفات اللغة تعتمد بشكل كبير على كيفية إدراك العقل البشري للعالم من حوله، إذ يعتبر اللغة تمثيلات عقلية نشأت من تجارب الإنسان الحسية والتفاعلات مع محيطه، وبذلك تعتبر منهجية اللسانيات المعرفية أن اللغة ليست فقط وسيلة للتواصل، بل أداة تساعد في تشكيل المعرفة البشرية بشكل أعمق**(Lakoff, 1987, p. 25)**، وهو ما يتوافق مع الفرضية الأساسية لكروفت وكروز التي يقول فيها:

"Language is not an autonomous cognitive faculty... knowledge of language is knowledge of how to communicate in particular ways, and draws on more general cognitive resources" (Croft & Cruse, 2004, p. 1).

إذن، فاللغة والإدراك نظامان معرفيان أساسيان، أصبح يُنظر إليهما كعناصر ضرورية لإدراك السلوك البشري، بعيدًا عن النظرة السابقة التي تعتبر اللغة أداة تواصل فقط، بل الأصح أن فهمنا العميق للأمور يتجلى من خلال الجمع بين مختلف العناصر، كما يرى الخطيبي (2009) أن هذه الرؤية تُعيد تشكيل السؤال المركزي في اللسانيات من "كيف تبنى الجملة؟" إلى "كيف تُبنى المعرفة عبر اللغة؟."

المطلب الثاني: الاستعارة

تعتبر الاستعارة من أبرز المبادئ في منهجية اللسانيات المعرفية التي طورها لاكوف وجونسون في كتابهما**(Metaphors We Live By, 1980)** ، ووفقًا لهذا المفهوم فإن الاستعارة ليست مجرد أداة لغوية، بل هي جزء من الطريقة التي يفكر بها الناس: فعلى سبيل المثال: في العبارة "محادثة ساخنة"، يتم استخدام الاستعارة لتصوير المحادثة كأنها شيء يمكن أن يبرد أو يسخن، ما يعكس كيفية تشكيل اللغة لمفاهيم معقدة من خلال تصورات مادية ملموسة .**(Lakoff & Johnson, 1980, p. 56)** وتُظهر الاستعارة المفهومية دور اللغة في ربط المعاني المجردة بالتجارب الحسية، وهو ما يمثل جزءًا أساسيًا من الفهم البشري للعالم. وعليه، فالاستعارة من أهم المظاهر الجمالية للغة؛ لأن الاستخدام المجازي للكلمة يكسبها قوة طرح لا يمكن لنا أن نتصورها من دون توظيف تلك الاستعارة.

المطلب الثالث: التفاعل بين اللغة والتجربة الحسية

تشير منهجية اللسانيات المعرفية إلى أن اللغة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتجربة الحسية، حيث يبرز هذا المبدأ في الدراسات التي تؤكد على تأثير الإدراك الحسي في بناء المعنى اللغوي، فعلى سبيل المثال، عندما نقول "المنزل دافئ"، تكون هذه العبارة مرتبطة مباشرة بتجربة حقيقية للحرارة، مما يعكس كيف أن اللغة تأخذ معناها من التجربة الحسية اليومية، كما تساهم هذه التجارب الحسية في تشكيل الكيفية التي يستخدم بها الأفراد اللغة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم .**(Lafont, 2007, p. 76)** وبناءً على ذلك، فالإدراك الحسي عنصر أساسي في توظيف اللغة وتكوين ردود الفعل في مختلف المواقف، من خلال تحديد وتوجيه المعنى اللغوي بالشكل الذي تغذيه مشاعر الفرد.

المطلب الرابع: العاطفة واللغة

من المبادئ الأخرى التي تميز منهجية اللسانيات المعرفية هو دور العواطف في تشكيل اللغة، فاللغة وفقًا لهذا المبدأ، ليست مجرد أداة فكرية، بل تتعداها إلى كونها أيضًا وسيلة للتعبير عن المشاعر والعواطف، فالعواطف يمكن أن تؤثر في كيفية بناء المعاني واستخدام اللغة في سياقات مختلفة، وهو ما نستقيه من كتاب لاكوف **The Cognitive Models in Language and Thought** ، حيث يشير إلى أن الكثير من المفاهيم اللغوية ترتبط بالعواطف، مثل المفاهيم المرتبطة بالأمل والخوف، وهي تؤثر في فهمنا للواقع كما تعبّر عن تفاعلاتنا الشخصية مع المحيط .**(Lakoff, 1993, p. 98)** نستنتج أن الكلمات والعواطف مترابطة بشكل وثيق، فاللغة المستخدمة يمكن أن تجعل القارئ يستجيب إما بالتعاطف مع شخصية ما أو السخط أو المشاركة، خاصة عند استخدام كلمات قوية ومؤثرة.

المطلب الخامس: السياق الثقافي والاجتماعي في اللغة

إن اللسانيات المعرفية تُدرك أهمية السياق الثقافي والاجتماعي في فهم اللغة، إذ يبين هذا المبدأ أن اللغة لا تُستخدم في فراغ، بل هي مرتبطة بالسياقات الثقافية التي تُبيّن كيف يتم تفسير الكلمات والعبارات، فعندما يتم التحدث عن "الكرامة" في ثقافات مختلفة، فإن هذا المفهوم يأخذ أبعادًا مختلفة بناءً على القيم الثقافية، مما يشير إلى كيفية تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية في تشكيل اللغة عمومًا **(Fauconnier, 1994, p. 120).** وعليه لا يمكن فهم اللغة بعيدًا عن السياقات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في استخدامها وتفسيرها، مما يعزز من ديناميكيتها في مختلف البيئات.

من خلال ما سبق ذكره، يتضح لنا أن منهجية اللسانيات المعرفية في دراسة اللغة تقدم فهمًا عميقًا للعلاقة بين اللغة والإدراك البشري، حيث تُعتبر اللغة ظاهرة معرفية تنبع من التجارب الحسّية والعاطفية التي يخوضها الأفراد في تفاعلهم مع بيئتهم، فاللغة ليست مجرد مجموعة من الرموز، بل هي تمثيلات عقلية تنظمها المخططات الذهنية التي تعتمد على التجارب الشخصية، كما تبرز أهمية الاستعارة المفهومية في تفسير المعاني المجردة من خلال مفاهيم ملموسة، مما يعكس كيفية تأثير اللغة على التفكير، وبالإضافة إلى ذلك، يساهم التفاعل مع التجربة الحسية والعاطفية في تشكيل المعاني اللغوية، مما يجعل اللغة أداة مرنة وواقعية للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

المبحث الثالث: مفهوم اللغة في اللسانيات المعرفية

يُنظر في اللسانيات المعرفية إلى اللغة كجزء لا يتجزأ من الإدراك البشري، حيث تُعتبر أداة أساسية لتنظيم المعرفة الإنسانية وتفسير الواقع، ويُعتقد أن اللغة ليست مجرد مجموعة من الرموز التي تُستخدم للتواصل، بل هي عملية معرفية معقدة تستند إلى تجارب الإدراك الحسي والعاطفي، وهذا المفهوم يختلف

عن النماذج التقليدية للغة، التي تعتبر اللغة مجرد أداة ميكانيكية لنقل الأفكار، بل تتفاعل مع إدراكنا للعالم وتساهم في تشكيل تصوراتنا للأشياء والأحداث.

المطلب الأول: اللغة كجزء من الإدراك البشري

إن اللغة جزء من العملية الإدراكية البشرية، فبدلاً من أن تكون منفصلة عن الإدراك الحسي، يُنظر إلى اللغة كأداة تُستخدم لتنظيم المعرفة المأخوذة من العالم المادي، كما أشار إلى ذلك لاكوف **(Lakoff** في كتابه **Women, Fire, and Dangerous Things**، فاللغة لا تعكس فقط الواقع، بل هي عملية معرفية تنظم هذه الخبرات بطريقة تُساعد الأفراد على فهم البيئة والتفاعل معها**Lakoff, 1987, p. 19)**)، وبالتالي تتشابك اللغة مع الإدراك الحسي الذي يشكّل الأساس الذي تُبنى عليه المفاهيم اللغوية.

المطلب الثاني: دور التجربة الإنسانية في تشكيل اللغة

تتخذ التجربة الإنسانية مكانة مركزية في تشكيل اللغة داخل منهجية اللسانيات المعرفية، فالتجارب اليومية، سواء كانت حسية أو عاطفية، تساهم في بناء المفاهيم اللغوية، فالمفاهيم اللغوية ليست مجرد رموز مجردة، بل هي مستمدة من التجارب الحيّة التي يعيشها الأفراد في تفاعلهم مع العالم المادي **Lakoff)** **& Johnson, 1980, p. 34)**، فاستخدام الاستعارات مثل "الحب كرحلة" أو "الحياة كرحلة" يُظهر كيف يتم تشكيل المفاهيم المجردة بناءً على تجارب الحياة اليومية التي تمت بشكل حسي وعاطفي.

المطلب الثالث: العلاقة بين اللغة والعناصر المعرفية

توجد العلاقة بين اللغة والفئات المعرفية، خاصة في ما يتعلق بالاستعارة المفهومية، من المفاهيم المركزية في اللسانيات المعرفية، فالاستعارة المفهومية هي آلية لغوية يستخدمها الناس لفهم المفاهيم المجردة من خلال مفاهيم ملموسة مأخوذة من التجربة اليومية، إذ نستخدم الاستعارات بشكل مستمر في حياتنا اليومية، مثل "الوقت كالنهر"، ما يُظهر كيف أن التجربة الإنسانية تُشكّل بشكل كبير الفئات المعرفية التي نستخدمها في بناء المعاني اللغوية، وتساعد هذه الاستعارات في تفسير المفاهيم المعقدة عن طريق الربط بين مفاهيم مألوفة وعناصر من الإدراك الحسي.**(Lakoff & Johnson, 1980, p. 56)**

من خلال ما سبق، نستنتج أن مفهوم اللغة في اللسانيات المعرفية يتجاوز كونها مجرد وسيلة للتواصل اللغوي، إذ تُعتبر جزءًا أساسيًا من الإدراك البشري الذي يتفاعل مع التجارب الحسية والعاطفية، فاللغة لا تُستخدم فقط لنقل الأفكار، بل هي أيضًا أداة لتنظيم المعرفة وتشكيل المفاهيم، حيث تساهم في تفسير الواقع بناءً على التجربة اليومية للإنسان، إذ تستخدم اللغة استعارات مأخوذة من التجارب الملموسة لفهم

المفاهيم المجردة والمعقدة، حيث تؤكد اللسانيات المعرفية على أن اللغة ليست فقط انعكاسًا للواقع، بل هي أيضًا عنصر ديناميكي يشكل طريقة تفكيرنا وإدراكنا للعالم.

المبحث الرابع: المصطلحات المفتاحية في اللسانيات المعرفية

تعتمد اللسانيات المعرفية على مجموعة من المصطلحات التي تُعد محورية لفهم العلاقة بين اللغة والإدراك، ومن أبرز هذه المصطلحات نجد "الاستعارة المفهومية"، "المخططات الذهنية"، و"الأنماط الذهنية"، إذ تُستخدم هذه المصطلحات لتوضيح كيفية تأثير التجربة البشرية، سواء كانت حسية أو عاطفية، على تكوين اللغة وطرق فهمنا للواقع، وسنتناول في هذا العنصر تحليل هذه المصطلحات من حيث دلالاتها النظرية ووظائفها في الإطار المعرفي، وكذلك التحديات التي قد تطرأ عند استخدامها، خاصة فيما يتعلق بالغموض أو الترجمات.

المطلب الأول: الاستعارة والمخططات الذهنية

تعتبر الاستعارة المفهومية أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات المعرفية، وقد تم تعريفها لأول مرة بشكل شامل من قبل لاكوف وجونسون، فالاستعارة آلية عقلية تُستخدم لتحويل مفاهيم مجردة إلى مفاهيم ملموسة تعتمد على تجاربنا الحسية؛ ووفقًا لهذه النظرية فإنه لا تُستخدم الاستعارات فقط في اللغة الأدبية أو الشعرية، بل هي جزء من حياتنا اليومية، حيث نستخدمها بشكل مستمر لتفسير مفاهيم مثل "الوقت كالنهر" أو "الحب كرحلة"، ولا تقتصر هذه الاستعارات على اللغة، بل هي تعبيرات عن كيفية إدراكنا للواقع وكيفية تنظيم مفاهيمنا العقلية. **(Lakoff & Johnson, 1980, p. 35)**

أما "المخططات الذهنية**(Cognitive Schemas)** "، فهي تمثل تمثيلات عقلية تقوم بتنظيم المعلومات والخبرات في أطر قابلة للاستخدام، وهي بمثابة بنيات معرفية تُساعد الأفراد على معالجة المعلومات الجديدة بناءً على ما يعرفونه مسبقًا، فالمخططات الذهنية تساهم في تشكيل المفاهيم وكيفية استيعابنا للعالم، فهي كالأطر التي تنظم الإدراك وتوجه التفسير العقلي للأشياء، لتسهل لنا فهم الأنماط في العالم المادي والاجتماعي، مما يُساعد في تفسير اللغة بناءً على المعاني التي تم تشكيلها في أذهاننا **(Lakoff, 1987, p. 61)**. وعليه فالاستعارة تلعب دورًا مهمًا ومحوريًا في تكوين المعنى اللغوي، وكذا تفسير كيفية إدراك الإنسان للعالم من حوله، من خلال كونها أدوات معرفية وليس مجرد زينة بلاغية كما كان ينظر إلى الاستعارة سابقًا، أما المخططات الذهنية فتساعد الإنسان على تنظيم تجاربه اللغوية والاستفادة منها، وهو ما يتقاطع مع التحليل الذي يقدمه السامرائي (2008) لطبيعة العلاقة بين البنى النحوية والأطر الذهنية الحاضنة لها.

المطلب الثاني: دور الأنماط الذهنية في فهم اللغة

الأنماط الذهنية، أو ما يُعرف أيضًا بالأطر المعرفية **(Cognitive Frames)**، تشير إلى البُنى الذهنية التي تساعد الأفراد على تنظيم المعلومات وتوجيه فهمهم للعالم، وتُعتبر هذه الأطر هي "الوحدات المعرفية" التي ينظم من خلالها الأفراد فهمهم للواقع، فعلى سبيل المثال، الأطر المعرفية مثل "الأم كحامية" أو "الرجل كقائد" تؤثر بشكل كبير على تفسير اللغة واستخدامها في سياقات اجتماعية مختلفة، ويتم استخدام هذه الأطر لتوجيه تفاعلاتنا اليومية مع الآخرين وتفسير عبارات معينة وفقًا لما نعرفه عن الحياة والأنماط الاجتماعية**(Tannen, 1993, p. 44)** ، تُستخدم هذه الأطر في دراسات اللسانيات المعرفية لفهم كيفية تفسير النصوص والمواقف الاجتماعية من خلال المعاني التي ترتبط بالعقل البشري بشكل غير مباشر، ففي الحوارات السياسية، يتم استخدام أطر معرفية معينة مثل "الدفاع عن الوطن" أو "العدو المشترك"، مما يعكس طريقة فهمنا للأحداث بناءً على الإيديولوجيات والسياقات الثقافية، وتسهم هذه الأطر في تشكيل وتحليل اللغة، لأنها توجه تفسيراتنا للنصوص بطريقة تؤثر في بناء المعاني **(Lakoff, 2004, p. 86)**. وعليه، تلعب الأنماط الذهنية دورًا أساسيًا في فهم اللغة بإسهامها في تفسير الكيفية التي يعالج بها العقل البشري المعاني اللغوية، لتنظيم المعلومات وتوقع المعاني من خلال سياق الكلام.

المبحث الخامس: تطبيقات اللسانيات المعرفية وتحدياتها

بفضل تركيز اللسانيات المعرفية على العلاقة بين اللغة والإدراك، توفر مجموعة متنوعة من الأدوات التي يمكن تطبيقها عمليًا في عدة مجالات مثل تحليل النصوص، وتعليم اللغة، والترجمة، وفي هذا السياق يمكن استخدام هذه الأدوات لفهم كيفية تشكيل اللغة للمفاهيم وتوجيه تفاعلاتنا مع العالم. وعلى هذا الأساس، سنقوم بتحليل كيفية استخدام الأدوات المعرفية في تحليل النصوص بشكل دقيق، وكيفية توظيفها في تعليم اللغة وتطبيقاتها في الترجمة.

المطلب الأول: تحليل النصوص باستخدام الأدوات المعرفية

تحليل النصوص باستخدام الاستعارة والأطر المعرفية هو أحد التطبيقات الأكثر بروزًا للسانيات المعرفية، إذ تساعد هذه الأدوات في تفسير المعاني الكامنة وراء النصوص بشكل يعكس الواقع الإدراكي الذي ينبثق منه المعنى، ففي تحليل الخطابات السياسية مثلاً، يمكن أن تُستخدم الاستعارات لتوضيح كيف أن السياسيين ينقلون مفاهيم معقدة عبر استعارات مألوفة، كخطاب الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش خلال الحرب على العراق، حيث تُظهر دراسة الخطاب كيف اعتمد على استعارة "الحرب كحرب" أو "القوة العسكرية كدرع" في تحفيز الجمهور على دعم الحرب، حيث تلعب هذه الاستعارات دورًا رئيسيًا في تحريك

الجماهير وتشكيل مواقفهم تجاه القضايا المعقدة. وعند تحليل نصوص أدبية، مثل قصائد الشعر أو الروايات، يمكن الاستفادة من مفهوم "الاستعارة المفهومية" لفهم الطريقة التي يستخدمها الكُتّاب للتعبير عن المعاني المجردة من خلال رموز وأشياء ملموسة، فأعمال ويليام شكسبير في الأدب الإنجليزي تتضمن استعارات معقدة مثل "الوقت كالعدو" أو "الحب كالحرب" التي تُستخدم لتصور مفاهيم معقدة حول الزمن والعواطف. وفقًا لما ذكره هيرش**(Hirsch, 1998)** ، تُعد الاستعارة أداة أساسية في الأدب لأنها تساعد القارئ على تجسيد الأفكار المجردة وتوظيف خبراته الذاتية لفهم المعاني التي يسعى الكاتب لإيصالها **(Charteris-Black, 2004, p. 37).**إذن، فتحليل النصوص باستخدام الأدوات المعرفية يعتبر من أهم الأساليب التي تقدمها اللسانيات لفهم اللغة البشرية، إذ تعتمد هذه المقاربة على توظيف مفاهيم معرفية في تحليل النصوص وفهم بنيتها العميقة وكذا دلالاتها الخفية.

المطلب الثاني: توظيف اللسانيات المعرفية في تعليم اللغة أو الترجمة

تُوفّر اللسانيات المعرفية في مجال تعليم اللغة أدوات قوية لفهم كيفية إدراك الطلاب للمفاهيم اللغوية، إذ يعتمد التدريس في هذا السياق على فكرة أن تعلم اللغة هو أكثر من مجرد حفظ الكلمات والقواعد، بل هو عملية تتعلق بتشكيل العالم من خلال اللغة، ويمكن للمعلمين استخدام الأدوات المعرفية مثل المخططات والأنماط الذهنية لتوجيه الطلاب نحو فهم أعمق للغة، فعلى سبيل المثال: في تعليم اللغة الإنجليزية، يُمكن للمعلمين أن يقدموا للطلاب مفاهيم مثل "الزمن كمسار" أو "اللغة كأداة تشكيل الواقع" لفهم كيف يتم استخدام اللغة ليس فقط للتواصل ولكن أيضًا لبناء الواقع المعرفي للمتحدثين **(Thornbury, 2006, p. 34).**وحتى عند تعليم مفاهيم مثل "الوقت" أو "الحب" أو "المستقبل"، يمكن للمعلمين تطبيق المخططات الذهنية لتعريف الطلاب بالطرق التي يتم بها تنظيم هذه المفاهيم، فعلى سبيل المثال، "الوقت كحركة" في كثير من اللغات يُعبّر عن مرور الوقت باستخدام استعارات تتعلق بالحركة الجسدية أو السفر، مثلما نستخدم في الإنجليزية تعبيرات مثل **"we are running out of time"** (نفد وقتنا)، حيث يتمكن الطلاب من خلال هذه الأدوات من التعرف على الطريقة التي يتم بها تشكيل العالم المعرفي بواسطة اللغة، وهو ما يجعلهم أكثر وعيًا بمفاهيمهم اللغوية.

وفي ميدان الترجمة، توفر اللسانيات المعرفية للمترجمين فهماً أعمق للعلاقة بين اللغة والمعرفة، مما يساعدهم على تجاوز الترجمة الحرفية للمفاهيم والتوجه نحو ترجمة المعاني والسياقات بناءً على الأطر المعرفية التي قد تكون مشتركة بين الثقافات أو تختلف بينها، وهنا يُمكن للمترجمين استخدام الاستعارة المفهومية والمخططات الذهنية لتفسير النصوص بشكل يتماشى مع السياق الثقافي للغة الهدف، فعند ترجمة نص أدبي من الإنجليزية إلى العربية يتضمن استعارة**"time is money"** ، يجب أن يكون المترجم

واعيًا للثقافة المتلقية وكيفية استخدام مفاهيم مثل "الوقت هو المال" في السياق العربي، وفي بعض الحالات، قد يتطلب الأمر تعديل الاستعارة أو استخدام استعارة مشابهة في اللغة الهدف لكي تُحقق نفس الأثر المعرفي والنفسي على المتلقي .**(Newmark, 1988, p. 150)**

وعليه، تُعتبر اللسانيات المعرفية مجالًا ثوريًا في دراسة اللغة والترجمة، بربطها بين اللغة والفكر والإدراك لتحسين فهم المتعلمين والدارسين للغات المختلفة، ومساعدة المترجمين. ومن جانب آخر، تُظهر بعض الدراسات في مجال الترجمة أن هناك تحديات كبيرة في استخدام الأدوات المعرفية عند ترجمة مفاهيم معينة من ثقافة إلى أخرى، فالتراكيب اللغوية والثقافية تختلف بشكل جذري بين اللغات، مما يجعل من الضروري أن يكون المترجم مدركًا لكيفية تنظيم المخططات الذهنية في الثقافة المصدر والهدف، وهنا تبرز إشكالية ترجمة الاستعارات المفهومية الأساسية كما في الدراسات التي تناولت الاستعارة في النص القرآني على سبيل المثال (**حمودة، 2014**).

وفي الختام، واستنادًا لما سبق سرده، يمكننا القول أن اللسانيات المعرفية تعتبر مجالًا خصبًا للتطبيقات العملية، حيث تسهم في فهم أعمق لطبيعة اللغة وكيفية تفاعلها مع التفكير والمعرفة، حيث يتجلى دورها في مجالات متعددة تسهم في تحسين التواصل البشري وتعزيز الفهم اللغوي، ففي تعليم اللغات، يتم استخدام مفاهيم مثل الاستعارات المفهومية لفهم كيفية تنظيم المتعلمين للمفاهيم اللغوية وربطها بمعارفهم السابقة، مما يجعل العملية التعليمية أكثر فاعلية، أما في الترجمة، فتُسهم اللسانيات المعرفية في فهم السياقات الثقافية واللغوية بشكل أعمق، مما يضمن دقة أكبر في نقل المعاني، كما تُستخدم هذه التطبيقات في معالجة اللغة الطبيعية لتحسين أداء الأنظمة الذكية، مثل التطبيقات المساعدة والمترجمات الإلكترونية، حيث تعتمد الخوارزميات على المبادئ المعرفية لتحليل النصوص واستخراج المعاني الدقيقة، إضافة إلى ذلك، نجد لها تطبيقات في التسويق والاتصال الجماهيري، حيث تُدرس العبارات والشعارات الإعلانية من منظور تأثيرها على عقول المستهلكين وطريقة فهمهم للرسائل الموجهة إليهم، وبالتالي فإن اللسانيات المعرفية تبرهن على أهميتها في الربط بين النظرية والتطبيق في مجالات متعددة تخدم الإنسان والمجتمع.

المطلب الثالث: تحديات اللسانيات المعرفية والنقد الموجه لها

رغم أهمية اللسانيات المعرفية ودورها المحوري في إعادة صياغة فهم العلاقة بين اللغة والإدراك، فقد طالها النقد نظرًا للتحديات التي واجهتها، فقد قدمت هذه المدرسة إسهامات بارزة في دراسة الاستعارات المفهومية والبنى الإدراكية، وأسهمت في توسيع أفق الدراسات اللغوية لتشمل تداخلات عميقة مع علوم

معرفية أخرى. إلا أن هذا التوجه ورغم ثرائه فقد أثار تساؤلات حول مدى قدرته على تفسير بعض الظواهر اللغوية وتعقيداتها، ومدى شمولية نظرياته عند تطبيقها على لغات وثقافات مختلفة، ما استدعى وقفة نقدية لتحليل أوجه القصور، بدءًا من جدلية المفاهيم والمصطلحات، مرورًا بمحدودية التفسير، وصولًا إلى صعوبة توحيد الرؤى والمناهج.

وتنتقد اللسانيات التقليدية توجه اللسانيات المعرفية نحو مفاهيم غامضة مثل الاستعارة المفهومية والدمج العقل(**Conceptual Blending**) ، معتبرة أنها قد تفتقر إلى الصرامة العلمية الكافية بسبب صعوبة اختبارها تجريبيًا. كما أن هناك جدلاً آخر حول مدى تعميم نتائج الدراسات المعرفية؛ إذ تركز هذه الدراسات غالبًا على لغات معينة كالإنجليزية، مما يجعلها عرضة لاتهامها بالتحيز الثقافي واللغوي، وهو ما يثير تساؤلات حول مدى صلاحية النظريات المعرفية لتكون شاملة لجميع اللغات **(Evans & Green, 2006, pp. 21-35).**

وعليه، فاللسانيات المعرفية تواجه نقدًا لمنهجيتها وبعض مفاهيمها الأساسية، حيث يرى البعض أنها تفتقر إلى الصرامة العلمية بسبب اعتمادها على مفاهيم يصعب اختبارها تجريبيًا، مثل الاستعارات والبُنى الإدراكية، كما تُتّهم بأنها تميل إلى التعميم الثقافي واللغوي، إذ تعتمد غالبًا على لغات محددة مثل الإنجليزية، مما يثير تساؤلات حول شمولية نظرياتها؛ إضافة إلى ذلك، تُظهر محدودية واضحة في تفسير الظواهر اللغوية التي تتأثر بالعوامل الاجتماعية أو النظم النحوية المستقلة.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين اللغة واللسانيات المعرفية من خلال تحليل مفاهيمي ومصطلحي شامل، مسلطةً الضوء على الكيفية التي تتجلى بها اللغة كجزء من الإدراك البشري، حيث استعرضنا في البداية النشأة التاريخية للسانيات المعرفية ودورها المحوري في إعادة تشكيل فهمنا للغة، مع إبرازنا مساهمة رواد المجال مثل جورج لاكوف ومارك جونسون في وضع أسس منهجية جديدة ترتكز على التجربة الإنسانية والفئات المعرفية كعناصر مركزية لفهم اللغة، إضافةً لتفصيل التطبيقات العملية للسانيات المعرفية، وكذا التحديات والنقد الموجه لها في ظل ما تم سرده في مجريات البحث.

توصلت الدراسة إلى أن اللغة ليست نظامًا مستقلاً، بل يتداخل مع التجربة الإدراكية للفرد والمجتمع، وهو ما يعزز الأهمية العملية للمصطلحات المفتاحية مثل "الاستعارة المفهومية"، و"المخططات الذهنية" في تحليل النصوص وفهم المعاني العميقة، ومع ذلك فإن غموض بعض المصطلحات وصعوبات ترجمتها يشكلان تحديًا يعيق تحقيق اتساق علمي ومنهجي في هذا المجال.

ومن الناحية التطبيقية، فقد أظهرت الدراسة إمكانية توظيف اللسانيات المعرفية في مجالات متنوعة كتعليم اللغة والترجمة، ما يفتح آفاقًا جديدة لتحسين ممارساتنا اللغوية والثقافية، ومع ذلك فإن محدودية منهجية اللسانيات المعرفية في تفسير بعض الظواهر اللغوية، ووجود نقد موجه لعدم شموليتها أو لافتقارها إلى معيارية واضحة في المصطلحات، يفرض ضرورة مراجعة مستمرة لهذا المجال، وتؤكد هذه الدراسة أن اللسانيات المعرفية ليست مجرد إطار نظري، بل هي أداة حيوية لفهم اللغة بوصفها تعبيرًا عن الإدراك البشري، مما يجعلها مجالًا مفتوحًا للتطوير والابتكار المستمر.

بناءً على هذه النتائج، يوصي البحث بما يلي:

- تعزيز الجهود البحثية لتوحيد المصطلحات في مجال اللسانيات المعرفية وترجمتها وتوسع نشرها بين الثقافات.
- تطوير أدوات تعليمية تعتمد على المفاهيم المعرفية لتبسيط فهم اللغة وتعليمها.
- فتح حوار أكاديمي بين الاتجاهات المختلفة في دراسة اللغة لتجاوز التحديات النظرية.
- المزيد من الدراسات التطبيقية على النصوص الأدبية والثقافية لتوضيح الفائدة العملية للمنهجية المعرفية.

قائمة المصادر والمراجع:

- **الخطيبي، محمد. (2009). في اللسانيات المعرفية: قضايا وإشكالات (ط. 1). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.**
- **السامرائي، فاضل صالح. (2000). معاني النحو (ط. 1). عَمَّان: دار الفكر للنشر والتوزيع.**
- **العتيبي، مسفر بن سعيد. (2015). إشكالية ترجمة المصطلح اللساني: مصطلح اللسانيات المعرفية أنموذجًا. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، (22)2، 95-116.**
- **المجذوب، عز الدين. (2008). مقدمة في اللسانيات المعرفية: نماذج وتطبيقات (ط. 1). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.**
- **حمودة، عادل. (2014). الاستعارة المفهومية بين النظرية والتطبيق: دراسة في ضوء اللسانيات المعرفية (ط. 1). القاهرة: دار النشر للجامعات.**
- Charteris-Black, J. (2004). *Corpus approaches to critical metaphor analysis*. Palgrave Macmillan.
- Chomsky, N. (2000). *New horizons in the study of language and mind*. Cambridge University Press.
- Croft, W., & Cruse, D. A. (2004). *Cognitive Linguistics*. Cambridge University Press.
- Evans, V., & Green, M. (2006). *Cognitive linguistics: An introduction*. Routledge. Fauconnier, G. (1994). *Mental spaces: Aspects of meaning construction in natural language*. Cambridge University Press.
- Hirsch, E. D. (1998). Validity in interpretation. In *The aims of interpretation* (pp. 1-23). University of Chicago Press.
- Lakoff, G. (1987). *Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the mind*. University of Chicago Press.
- Lakoff, G. (1993). The cognitive models in language and thought. In Ideology and meaning (pp. 85-110). Cambridge University Press.

- Lakoff, G. (2004). Don't think of an elephant! Know your values and frame the debate. Chelsea Green Publishing.
- Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). Metaphors we live by. University of Chicago Press. Newmark, P. (1988). A textbook of translation. Prentice Hall.
- Langacker, R. W. (2008). *Cognitive Grammar: A Basic Introduction*. Oxford University Press.
- Tannen, D. (1993). Gender and discourse. Oxford University Press. Thornbury, S. (2006). How to teach vocabulary. Longman.
- Turner, M. (1991). Reading minds: The study of English in the age of cognitive science. Princeton University Press.